



التناسب الصوتي وجمالياته الإيقاعية في سورة الشعراء
The phonetic proportion and its rhythmic aesthetics in Surat Al-Shu'araa

سفيان بوعينية²
chehd07032011@gmail.com

أميرة دريدي¹
a.dridi@univ-skikda.dz

تاريخ الاستلام: 2024/10/06 تاريخ القبول: 2024/12/08 تاريخ النشر: 2024/12/20
Received: 06/10/2024 Accepted: 08/12/2024 published: 20/12/2024

ملخص المقال:

تسعى هذه الدراسة إلى الكشف عن التناسبات الصوتية في سورة الشعراء، مبرزة الأبعاد الجمالية والبلاغية منها، من خلال الوقوف على بعض الظواهر الصوتية كالفاصلة والمقطع والجناس؛ التي تعكس في نظمها واتساقها وتناسبها إيقاعا فنيا، تتجلى فيه جماليات الخطاب القرآني في التعبير عن المعاني بصور تعجيزية، أثارت هذه الدراسة بالتساؤلات الآتية: ماهي مختلف الظواهر الصوتية المشكلة للتركيب القرآني في سورة الشعراء؟ وما الأثر البلاغي الذي يضمه استخدام تلك الظواهر دون غيرها في السورة؟ وماذا تعكسه تلك التناسبات الصوتية من أبعاد جمالية وإيقاعية على محورها العام؟.

كلمات مفتاحية: علم التناسب، سورة الشعراء، الإيقاع الصوتي، البعد الجمالي.

Abstract:

This study seeks to unveil the phonetic proportions in surat Al-shou'ara, highlighting the aesthetic and rhetorical dimensions by identifying some phonetic phenomena such as comma, Syllable and alliteration, which reflect in their organization. Consistency and proportion an artistic rhythm, in which the aesthetics of the Quranic discourse in expressing the meanings in inimitable images. This study raised the following questions. what are the various phonetic phenomena that from Quranic structure in surat Al-shou'ara. What is the rhetorical impact of using these phenomena. And what do these sound proportions reflect in term the aesthetic rhetorical dimensions on its general axis?.

Keywords: proportionality; surat Al-shou'ara; rhythm; aesthetic dimensions.

(1) جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة (الجزائر) ..

(2) جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة (الجزائر)

مقدمة:

تعدّ اللغة في جوهرها أصوات يعبر بها الفرد عن متطلباته وحاجاته، وكلّ ما اتّصل بها من ظواهر وجبّ على الصوت أن يكون أساسها ومنطلقها، والتناسب أحد هذه الظواهر، فمما هو مألوف أنّ لكل لغة موسيقاها وإيقاعها التابع من خواصها الصوتية ونظامها التركيبي، بحيث تتفاوت اللغات فيها تبعاً لاختلاف تلك الخواص والأنظمة، واللغة العربية في هذا الشأن - بالإجماع-، تعدّ اللغة المثلى، لما تمتاز به من ميزان صوتي فريد، وموسيقى عذبة تستحسنها عقول السامعين وتطرب لوقعها. والقرآن الكريم خطاب الله الخالد المعجز ببيانه وفصاحة ألفاظه وبلاغه معانيه، نزل بهذه اللغة الفصيحة المميّزة بجوانبها الموسيقية الإيقاعية في جميع ظواهرها متخذة الأصوات اللغوية الوحدة الصغرى من تأليف آياته وبناء كلماته وتراكيب سورته، فهي من أهمّ ملامح الإعجاز القرآني، التي أفاض العلماء الحديث عنها بما يسمّى بالإعجاز الصوتي؛ الذي يُوازَن بين عنصري الصوت والمعنى في أحسن صورة، محققاً بذلك التناسق والترابط انسجاماً صوتياً، ذا أبعاد تأثيرية نفسية على السامع والمتأمل في خطابه المعجز، يقول الراجعي في وصف جمالية نظمه الصوتي (الراجعي، 1965م): "أنّ العرب لما قرئ عليهم القرآن، رأوا حروفه في كلماته، وكلماته في جملة، ألحاناً لغوية رائعة السبك والتّغم كآثماً لا تتلافها وتناسبها قطعة واحدة".

إشكالية الدراسة:

في ظلّ هذا الطرح، وبلاستناد إلى هذا المكوّن اللغوي في النصّ القرآني، أثرنا الوقوف على خصائصه الفنية والجمالية، متخذين من التناسب الصوتي وجماليته الإيقاعية في سورة الشعراء موضوعاً لبحثنا، الذي تمحورت إشكاليته في الإجابة عن التساؤل الآتي: ماهي الأبعاد البلاغية لمختلف الظواهر الصوتية الموجودة في سورة الشعراء؟ وما الإيقاع الفني الذي يعكسه استخدام تلك التناسبات الصوتية دون غيرها في السورة؟.

الهدف من الدراسة:

تسعى هذه الدراسة للكشف عن التناسب الصوتي ودلالته في سورة الشعراء، وذلك لاستخراج الأبعاد الدلالية والإيقاعات الموسيقية من توالي تلك الظواهر الصوتية في تراكيب السورة.

منهج الدّراسة:

وفيما يخصّ منهجنا في هذه الدّراسة، فقد اعتمدنا المنهج الوصفي الذي آزرته آليتي الإحصاء والتحليل، وذلك بوصف الظواهر الصوتية (كالفاصلة والمقطع والجناس) في سورة الشعراء، وإحصاءها في جداول تبين عدد تكراراتها والنسب المئوية منها، ثمّ تحليل هاته النتائج والتعليق عليها بما تضرمه هذه التناسبات الصوتية من معان خفية، تبين مقاصد الشارع من توظيفها. كما اعتمدت دراستنا لهذا الموضوع على دراسات سابقة، تناولت جميع المستويات اللغوية في تحليلها لسورة الشعراء، أبرزها: الخطاب القرآني في سورة الشعراء (دراسة في النسيج اللغوي والدلالي) للباحث لزهة اسماعيلي (رسالة ماجستير، 2009م) - وأبزرها: البنية اللغوية في سورة الشعراء دراسة لسانية تطبيقية لسنابل هيثم يوسف عبد العال (رسالة ماجستير، 2020م)، غير أنّ بحثنا يختلف عنهما في تخصيصه بدراسة المكوّن الصوتي دون المكونات الأخرى (الصرف، تركيب، دلالة) في سورة الشعراء.

وقد اعتمدت دراستنا على منهجية، كانت مقسمة إلى محورين رئيسيين هما:

المحور الأول: التناسب في القرآن الكريم

1. تعريف التناسب لغة واصطلاحاً

2. مفهوم التناسب الصوتي

المحور الثاني: التناسب الصوتي في سورة الشعراء

1. التعريف بالسورة

2. الظواهر الصوتية ومناسبتها الدلالية للسورة

2. 1 الأصوات المجهورة والمهموسة ودلالاتها في السورة

2. 2 الفاصلة القرآنية

2. 3 تناسب المقاطع الصوتية

2. 4 الجناس

خاتمة وتوصيات

قبل الغوص في ثنايا هذا البحث، لزاماً علينا توضيح أهم المفاهيم التي تعدّ مدخلاً رئيساً له:

التناسب في القرآن الكريم

1.2 حدّ التناسب:

أ. لغة:

ورد في لسان العرب قول ابن منظور (منظور، 1997م): "نَسَبَ: نَسَبَ: نَسَبَ: نسبُ القرباتِ وهو واحدُ الأنسابِ... وفلانٌ يناسبُ فلاناً، فهو نسيبُهُ أي قريبه...، وتقول: ليسَ بينهما مناسبةٌ أي مشكلة..."، فهو لم يختلف عما ذكره ابن فارس في المقاييس، وكذلك الزركشي في البرهان من أفادتها معنى الاتصال والارتباط، والمشكلة، والمقاربة.

ب. اصطلاحاً:

علم المناسبات علمٌ قديمٌ، لم يطرق بابه إلا عددٌ قليل من العلماء، إذ أفردّه بالتأليف أبو جعفر بن الزبير في كتابه (البرهان في مناسبة ترتيب سور القرآن)، ومن المعاصرين: الإمام برهان الدين البقاعي في (نظم الدرر في تناسب الآي والسور)، وجمال الدين السيوطي في مؤلف سَمَاء (تناسق الدرر في تناسب السور)، أمّا من المفسّرين: فنرى كذلك قلة اهتمامهم به، فقد اتصل مفهوم هذا العلم أولاً، بترتيب سور القرآن الكريم وارتباطها مع بعضها البعض، فمن ذلك ما قاله الإمام البقاعي (البقاعي، 1415هـ-1995م) أنّه: "علمٌ يُعرفُ منه عللُ ترتيبِ أجزاءِ القرآن"، غير محدّد بهذا القول أجزاء هذا الترتيب التي يُعنى بدراستها هذا العلم، بخلافه يذكر مناع القطان (القطان، 2002م) أوجه هذا الارتباط بين أجزاء المشكلة للسور، قائلاً: "المناسبة هي وجهُ الارتباط بينَ الجملة والجملة في الآية الواحدة، أو بين الآية والآية في الآيات المتعدّدة، أو بين السورة والسورة"، فهو هنا يردّ عل المشكّكين أو الطاعنين بمناسبة الخطاب القرآني وتربط أجزاءه وسوره.

وعليه فقد تطابق المفهوم الاصطلاحي مع المعنى اللغوي للمناسبة، بحيث أنّه يفيد ارتباط سور القرآن الكريم واتصال أجزائه من: (كلمات و تراكييب وآياتٍ وسور) مع بعضها البعض، حتى تتقارب فتكاد تكون كالكلمة الواحدة في تناسقها ومشاكلتها لسياق المعنى الواردة فيه.

2.2 التناسب الصوتي

إنّ الصوت لدى ابن جني (جني، 1985م) يعبر عن ذلك الحدث الذي: "يخرج مع النفس مستطيلا أملسا متصلا حتى يعرض له في الحلق والفم والشفيتين مقاطع تننيه عن امتداده و استطالته، فيسمى المقطع أينما عُرض له حرفا، وتختلف أجراس الحروف باختلاف مقاطعها".

أما التناسب الصوتي فيقصد به: ذلك الانسجام الذي يحصل بين الأصوات مع بعضها البعض، وبينها وبين السياق الواردة فيه والمعنى المعبر عنه، سواء في الكلمة الواحدة أو في تواليها في الجمل والعبارات، فاجتماعها فيها، يكسبها جرسا موسيقيا آخر زيادة على ما لها من موسيقى فردية، من مثل: تشابه الكلمات في الوزن أو الموقع، [...] أوفي تساوي فقرتين أو جملتين في عدد الكلمات أو في الوزن، أو في تماثل الكلمتين الأخيرتين (زيد، 1992م)، وعليه فهذا التراصف الصوتي للكلمات بمختلف أشكاله؛ يعدّ من مقومات الجمال الفني في النصوص، ومن العناصر التي تُحيلنا بقدرة المؤلف على سبك المعاني وإحداث تأثيرات صوتية متجانسة ومدروسة.

ومنه فالتناسب الصوتي في القرآن الكريم تناسب إيقاعي جرسيّ (البابي)، "تفاعل بين ألفاظه وآياته الفواصل المتناسبة والألفاظ المتجانسة والقطع المتناوبة"، فتمثل هذه التفاعلات الصوتية - من فواصل وألفاظ ومقاطع - أرقى صور التشكيل الفني في خطابه عزّ وجلّ، انطلاقا من الطاقة التعبيرية التي تضمهرها هذه الظواهر في قوالب إيقاعية، يكون للمعنى دور كبير في تحقيق هذه الوظيفة الجمالية؛ التي توازن بين عنصري الصوت والصورة في أحسن تمثيل.

التناسب الصوتي في سورة الشعراء

1.3 التعريف بسورة الشعراء:

هي سورة مكية، عدد آياتها 227 آية، تعالج مسائل الدين والعقيدة من: توحيد الله عزّ وجلّ، والخوف من الآخرة، والتصديق بالوحي المنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلّم، والتخويف من عاقبة التكذيب إمّا بعذاب الدنيا أو الآخرة الذي ينتظرهم (قطب، 1423هـ - 2003م)، وموضوعها الأساس هو القصص؛ حيث شغل حيزا كبيرا منها قدره العلماء ب180 آية، يقول الصابوني (الصابوني، 1402هـ - 1981م) في وصفه: "وجسم السورة هو القصص، الذي [...] ساهم في تأليف وحدة متجانسة، جسدت موضوع السورة بأساليب متنوعة، وقصص مختلفة، التقت في هدف واحد هو تسليّة قلب رسول الله لما لقيه من اعتراض المشركين وتكذيبهم لرسالته"، وسميت بالشعراء، لذكره تعالى أخبار الشعراء فيها؛ ردّا على افتراء المشركين وزعمهم أنّ رسول الله كان شاعرا، وما جاء به من قبيل الشعر.

2.3 الظواهر الصوتية ومناسبتها الدلالية للسورة

قبل الحديث عن الظواهر الصوتية وأثرها في إثراء النص القرآني بالمعاني عامة وسورة الشعراء خاصة، وجب لنا بيان المنهجية التي سارت عليها دراستنا في معالجة هذه الظواهر في نصّها، وذلك من خلال الكشف عن الظواهر الصوتية الهائلة التي طفقت بها

آيات سورة الشعراء، ثم استخراج شواهد متعدّدة أثّرت التنويع منها، لبيان مختلف التناسبات الصوتية فيها، وما تحيلُ إليه من دلالاتٍ معنوية ارتبطت بسياق السورة وموضوعها، متخذين من إيقاعها مسعىً لنا للكشف عن أبعادها الجمالية والفنية.

3.2.1. الأصوات المجهورة والمهموسة ودلالاتها في السورة:

الأصوات المهموسة في اللغة العربية، جمعها عبارة: حثه شخصٌ فسكت قط.

أمّا الأصوات المجهورة فهي (الباء، والجيم، والدال، والذال، والراء، الزاي، والضاد، والطاء، والعين، والغين، واللام، والميم، والنون، والواو، والياء)، وقد أُسقطت الهمزة من هذا التصنيف (الجهر والهمس)؛ لأنّها تحتلّ موقعا ليس بمجهور ولا بهموس - متردّدة في سورة الشعراء 552 مرة بما يُعادل 11,82%، وقد اعتمدنا هذا الرأي في إسقاطها أثناء إحصاء أصوات الجهر والهمس فيها سورة الشعراء، كما يوضحها هذا الجدول:

الجدول 1: أصوات الجهر والهمس في سورة الشعراء

الأصوات المهموسة			الأصوات المجهورة		
النسبة المئوية	عدد تواتره	الصوت	النسبة المئوية	عدد تواتره	الصوت
1,32%	61	ح	4,41%	206	ب
0,62%	29	ث	1,31%	61	ج
3,34%	156	هـ	1,07%	50	د
0,56%	26	ش	2,01%	94	ذ
0,79%	37	خ	4,56%	213	ر
0,64%	30	ص	0,79%	37	ز
2,80%	131	ف	0,47%	22	ض
2,23%	104	س	0,45%	21	ظ
3,47%	162	ك	0,39%	18	غ
4,58%	214	ت	13,40%	626	ل
2,27%	127	ق	10,04%	469	م
0,66%	31	ط	14,11%	657	ن
/	/	/	4,35%	203	و
/	/	/	2,91%	136	ي
27,61%	1108	المجموع	60,47%	2813	المجموع

إذ يبين هذا الجدول طغيان الأصوات المجهورة على الأصوات المهموسة بنسب كبيرة قدّرت ب 60,47%، وكان لصوتي (النون واللام) حضور بارز مقارنة بباقي الأصوات، وهذا الانتشار في أصوات الجهر دون الهمس ما يبرزه في لغتنا؛ من حيث أنّها ترمز للقوّة والوضوح السمعي، الناتج عن النغمة الحنجرية المتولّدة من اهتزاز الوترين الصوتيين، بخلاف صاحبتهما التي تتسم بالخفة والسهولة، كما تكسب الصوت خفاءً في النطق (العال، 2020م)، فهي بغلبتها جاءت متناسبة مع أحداث السورة، التي تتطلب بموضوعها العام -العقيدة وأصول الدين- أصواتا نغمية موسيقية واضحة السمع

غير مجهدّة في النطق بها، لأنّها تخاطب المشركين والمكذّبين لرسول الله وللقرآن الكريم، فعليه كانت صوامثُ الجهرُ أنسبها استخداما في السورة نظرا لقوّتها وشدّتها، كما أنّ في الوضوح السمعيّ بيان لهم على ما ينكرون بالحجة والدليل.

2.2.3 الفاصلة القرآنية:

تشكّل الفاصلة أهمّ ملمح في الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم، الجمع فواصل، وهي الكلمات الواقعة في أواخر الآيات، سواءً تماثلت حروفها الأخيرة أو تقاربت صيغُ النطق بها (الجرمي، 2001م)، فهي تشبه قرينة السجع في النثر وقافية البيت في الشعر.

وفواصل القرآن الكريم أنواع هي: فواصل متوازنة، وفواصل متوازنة، وأخرى مُطرقة، وأخيرا مرسلّة (الجرمي، 2001م، الصفحات 208-209)، ولكنّ أكثرها تداولا والتي يتبنّاها أغلب الباحثين، ذلك التقسيم الذي يرى: أنّ فواصل سور القرآن الكريم، نوعان هما: فاصلة موحدة وأخرى غير موحدة؛ فالموحّدة، في الغالب وُجدت في القرآن المكّي عامّةً وبالأخصّ جزء "عم"، أمّا الفاصلة غير الموحّدة، فنجدها في الغالب في السور الطوال التي تأتي متنوعة من أجل تنفيس القارئ أو المستمع من هذا التوالي المتكرّر للفاصلة ذاتها، مع ربط هذا الانتقال الجرسى بالمعنى المراد منه (الشريده، صفحة 235)، وهذا التقسيم هو الذي اتخذناه سبيلا في بحثنا هذا لاستخراج فواصل الآيات من سورة الشعراء، حيث تنتمي فواصلها إلى النوع الثاني من هذا التقسيم، وهو: الفواصل غير الموحدة.

ونظرا لعدد آيات سورة الشعراء الذي بلغ 227 آية، فإنّ ذكر جميع فواصلها سيأخذ منا حيّزا كبيرا من صفحات هذا البحث، لهذا سنكتفي بتوضيحها في جدولٍ دون إعادة ما كرّر منها:

الجدول 2: الفاصلة القرآنية وصور وورودها في سورة الشعراء

الفاصلة القرآنية في سورة الشعراء	
اسم	فعل
طسم، المبين، كريم، الرحيم، الظالمين، هارون، العالمين، إسرائيل، سنين، الكافرين، الضالين، المرسلين، الأولين، لجنون، المسجونين، مُبين، الصادقين، للتأطرين، عليهم، معلوم، الغالبين، المقرّبين، الغالبون، أجمعين، المؤمنين، قليلون، عيون، العظيم، الآخرين، إبراهيم، الأقدمون، الدين، الصالحين، النعيم، بنون، سليم، للمتّقين، للغاوين، الغاؤون، أجمعون، المجرمون، حيم، أمين، الأزدلون، المرجومين، المشحون، الباقيين، بئين، عظيم، الواعظين، مُعذّبين، هضيم، المسرفين، المسخرين، المخرجين، القالين، الغابرين، المنذرين، المخسرين، المستقيم، الكاذبين، الأمين، الأعجمين، المجرمين، الأليم، الشياطين، المعذّبين، الأقربين، السّاجدين، العليم، أجمعون، أثيم.	مؤمنين، خاضعين، مُعرضين، يستهزؤون، يتّقون، يكذّبون، يقتلون، مستمعون، مُوقنين، تستمعون، تعقلون، تأمرون، مُجتمعون، مُلقون، ساجدين، مُنقلبون، مُتّبِعون، حاشرين، لغائطون، حذرون، مُشرقين، مدركون، سَهِدين، تَعْبُدون، عاكفين، تدعون، بضرون، يفعلون، يَهْدِين، يسقين، يشفين، يُحْيِين، يُعْثُون، ينتصرون، يَحْتَضِمُونَ، شافعين، تَتَّقُونَ، أطيعون، يعملون، تشعرون، كذّبون، تعبثون، تخلدون، جّبارين، تعلمون، آمنين، فارحين، يصلحون، نادمين، عادون، مفسدين، تعملون، يشعرون، مُنظّرون، يستعجلون، يوعدون، يمتّعون، مُنذّرون، ظالمين، يستطيعون، لمعزولون، تقوم، كاذبون، يهيمون، ينقلبون.

وانطلاقا ممّا ورد تعداده في الجدول لفواصل سورة الشعراء، وتصنيفها نحويا إلى أسماء وأفعال؛ فإنّ الأغلبية من مجيئها كانت للأسماء مقارنة بالأفعال، وهذا إن دلّ فحتما يدلّ أنّها مقصودة من الله عزّ وجلّ؛ فالمتأمل لدلالة الاسم نحويا برمزيته للثبات والتجدد، يجدُ الغاية ذاتها في السورة؛ أثناء عرضها لقصص طائفة من الأنبياء والرسل وما تعرّضوا له من بطشٍ وعنتِ المشركين

سابقا، لغاية مرائمتها تثبيت فؤاد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفؤاد المؤمنين على العقيدة، جزاء ما لحقهم من أذى المشركين وتكذيبهم لرسالته، كما ثبت من قبلهم الرسل (الصابوني، 1402هـ - 1981م، صفحة 373)، وأيضا بتجديد همتهم والربط على قلوبهم بذكر قصص طائفة من الرسل، لأخذ العبرة منها والثبات في الدعوة للإسلام.

أما تكرارها ومناسبتها لسياق السورة، فإن فواصل القرآن الكريم لا تعد مقصدا وحيدا للتناسبات الصوتية، بل للتناسب المعنوي شأن آخر يتأكد فيه إيقاعها، ويؤكد ذلك الزركشي في قوله (الزركشي، 1430هـ - 2009م): "اعلم أن من المواضع التي يتأكد فيها إيقاع المناسبة مقاطع الكلام وأواخره، [...] فلا بد أن تكون مناسبة للمعنى المذكور أولا، وإلا خرج بعض الكلام عن بعض، وفواصل القرآن الكريم لا تخرج عن ذلك"، وهذا ما شهدته سورة الشعراء في فواصل آياتها، التي تراوحت في الغالب بين نوعين هما: فاصلة النون و فاصلة الميم، بخلاف فاصلة اللام التي تكاد تنعدم مقارنة بهما، والجدول الآتي يوضح عدد تكراراتها والنسب المئوية التي يمثلها كل نوع منها في السورة:

الجدول 3: إحصاء فواصل سورة الشعراء

الفاصلة القرآنية	فاصلة نونية	فاصلة ميمية	فاصلة لامية
المنتهية	"ين"	"ون"	ل
عدد تكرارها	115 مرة	77 مرة	31 مرة
النسبة المئوية	51%	34%	14%

مما يلاحظ فإن الفاصلة الأكثر تكرارا في سورة الشعراء؛ هي الفاصلة النونية المسبوقة بمد الياء والواو بمقدار 85%، مقارنة بالفاصلة الميمية التي قدرت نسبتها ب14%، وهذا التفاوت لم يكن إلا لتمييزه (النون) بصفات تلائمت مع أفكار السورة، حيث يتسم بخاصية الغنة التي تجعله بارزا، لئلا، مرنا في حالة النطق به، فهو صوت أنفي واضح السمع، كان له الحضور البارز دون غيره من الأصوات في السورة، لملائمة سماته وخواصه غرض السورة ومغزاها؛ من ضرب تلك القصص لتمكين فؤاد الصحابة ورسول الله صلى الله عليه وسلم، والتماسك في تأدية الدعوة الإسلامية والصمود أمام المشركين.

و من النماذج في فواصل سورة الشعراء، التي نقف عند دلالة ذلك الاستعمال دون غيره:

• العدول في الانتقال من صيغة الجمع إلى المفرد:

قوله تعالى: ﴿واتل عليهم نبأ إبراهيم﴾ (إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون) قالوا نعبُدُ أصناما فنظّل لها عاكفين () قال هل يسمعونكم إذ تدعون () أو ينفعونكم أو يضرون () قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون () قال أفرأيت ما كنتم تعبدون () أنتم وآباؤكم الأقدمون () فإنهم عدوّ لي إلا رب العالمين () الذي خلّقي فهو يهديني () والذي يطعمني ويسقيني () وإذا مرضت فهو يشفين () والذي يُميتني ثم يُحْيِي () والذي أطمعت أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين () ربّ هب لي حكما وألحقني بالصالحين () واجعل لسان صدقي في الآخرين () الشعراء / 69 - 84.

فهذا النص له طريقة خاصة في استثمار الفاصلة القرآنية، إذ يستخدم الواو والنون التابعة لها لكونه حوارا بين متعددين يهدف لإقناعهم، ثم ينتهي الحوار لتنتهي معه علامة الجمع، لتستمرّ التّون معه إلى آخر الآيات، وذلك لكون الموضوع مازال عن قصة إبراهيم، فتدخل عوضا عن الواو الياء الأصلية الفردية التي ألغيت الوجود الجماعي الذي ورد سابقا، فكانت الأفعال:

يهدى، يسقي، يشفي، يحيي، ثم يعود النص مرة أخرى إلى فئة جمع جديدة في معنى آخر في كلمتي: الصالحين، والآخرين، كما تتلمس في باطن الآيات دلالة خفية أوحى بها تجاور الصوتين الياء والنون؛ فكم من سياقات خطابية دلّ فيها هذين المكونين (الياء والنون) على الجمع، رغم دلالة الفردية الواردة في الآيات (78-82)، التي خصّ بها في نصّ الآيات سيّدنا إبراهيم عليه السلام، إلّا أنّها تحمل أيضا دلالة الفردية الجمعية لأنّ سيّدنا إبراهيم عليه السلام لوحده مثل أمة بأكملها، فخطابه رغم أنه في ظاهره نداء خاصّ به يدعو من خلاله الله عزّ وجلّ بالهداية والشفاء والغفران، إلّا أنّ جوهره امتدّ إلى أبعد من ذلك وهو الدعاء لكلّ الأمم.

فهذا النموذج يصحّ لنا القول فيه كما قالت صفاء شريده أنّ النسق الصوتي (الشريده، صفحة 237): "يسير بطبيعة نغمية متجانسة، يظهر فيه البطء الإيقاعي، الناتج عن روح التعقل والتفكير التي تميّز بها سيّدنا إبراهيم إنسانا وداعية".

• العدول اللفظي في الفواصل:

في قوله تعالى: ﴿فَوَهَبَ لِي ربي حَكَمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ الشعراء/21 ففيه سنقف على تبين الغرض من مجيء الكلمة التي تكون فيها الفاصلة بدلا من كلمة أخرى، بقوله (وجعلني من المرسلين) بدل قوله: وجعلني رسولا، فما هو ملاحظ من ناحية التنسيق الفني في التعبير أنّ فاصلة السورة تراوحت على الأغلب بين "النون" و"الميم" اللذان يسبقهما مدّ- الواو والياء-، فجاء قوله تعالى: (من المرسلين) متماشيا موسيقيا مع الإيقاع السائد في السورة، بعكس لو قيل: وجعلني رسولا، ولكنه مع هذا يؤدي معنى مقصودا وهو أنّه [سيّدنا إبراهيم عليه السلام] واحد من كثيرين [المرسلين]، وأنّ الأمر ليس بفدّ وعجيب، وبهذا يجتمع التناسق الفني والمعنوي في التعبير (زيد، 1992م، صفحة 371).

3.2.3 تناسب المقاطع الصوتية:

يعدّ ترتيب المقاطع الصوتية في نظم الآيات من مصادر حلاوة الإيقاع القرآني، لأنّه (زيد، 1992م، الصفحات 316-317) "ترتيب يقوم على مبدأ التناسب، ولعلّ هذا التناسب الإيقاعي هو الذي يميّز المرتلين من ترتيل القرآن بهذه الأنغام العذبة التي تهزّ نفوس المستمعين"، ومن النماذج القرآنية في سورة الشعراء التي شهدت تكرارا لمقاطع تركيبية كاملة، معيدة في كلّ مرة ضبط الإيقاع العام للسورة، فيخلق نوعا من التوازي اللفظي والمعنوي- الذي لا يُخلّ ولا يُنقص من قيمتها- بل يضيف إليها بعدا آخر من الإعجاز التعبيري؛ الذي تتجدّد فيه الدلالات كلّ مرة في كلّ موضع وردته هذه التكرارات التركيبية في السورة.

وجاء ذكر بعض هذه المقاطع وترددها في سورة الشعراء، كما هو موضّح في هذا الجدول، الذي يبيّن تكرار المقاطع أو لوازم صوتية في السورة، أضيفت إلى نغمات الفواصل فصار ترددها إيقاعا نغميا، شبيها بقرع طبل الحرب على مسامع الظالمين.

الجدول 4: البلاغة الإيقاعية لتكرار المقاطع الصوتية في سورة الشعراء

نص الآية	تكرارها	بلاغته الإيقاعية
﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾	8 مرات	فقد كُثرت بعد كلّ قصة وردت عن الأنبياء وأقوامهم، كأنّها محطة تستريح فيها النفس بين كلّ قصة من ترنيمات المدود (الواو والياء) وتواليها في فاصلتي النون والميم.
﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾	8 مرات	فقد كان ترددها في السورة تنبيها وتأكيدا من الرسل لأقوامهم على الخوف من عذاب الله وطاعة أمرهم والأخذ بنصيحتهم، التي أعرضوا عنها بعضياهم لهم، وكذلك تنويعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأتباعه باستمراره

دعوتهم لهم، كما فعل الرسل قبلهم رغم ما سيلقوه من ردٍّ وصِدٍّ منهم.	5 مرات	﴿وما أسألكم عليه من أجر إن أجرينى إلا على ربّ العالمين﴾
بمعنى أنّ نصّحهم لأقوامهم لا يقابله أجر أو ثمن إلا ثوابٌ من الله عزّ وجلّ، فهو ردٌّ نزيّة يبيّن صدق دعوات الرسل في رسالتهم لدين الحق، وسفاهة عقول أقوامهم، وقصور رأيهم بأن جعلوا اتباع الفقراء له مانعا لاتباع دعواهم، فهنا نلمس تطابقا في موقف رسول الله مع رؤساء قريش، في إيمانهم بدعوته شرط طرده المؤمنين من الفقراء.		

4.2.3. الجنس:

يطلق عليه أيضا مصطلحي التجنيس أو التجانس، وهو تشابه اللفظين نطقا واختلافهما معنى، وينقسم إلى نوعين: لفظي ومعنوي (شريف و درافي، 2004م)، فاللفظي ينقسم بدوره إلى نوعين: تام وغير تام. فأما الجنس اللفظي التام - الموسوم بالكامل - هو ما اتفق فيه اللفظان في أربع هي: أنواع الحروف وأعدادها وهيئتها وترتيبها، كقولك: صليت المغرب بالمغرب؛ فالأولى تفيد صلاة المغرب، والثانية بلد المغرب، وأما الجنس اللفظي غير التام: فهو اختلاف اللفظين في واحد أو أكثر من الأمور الأربعة السابقة، وينقسم إلى خمسة أنواع هي: الناقص، والمصحف، والمحرف، والمضارع، والمقلوب (زروق، 2013م). إذ نكتفي فقط بشرح الأنواع التي تستوفيها آيات سورة الشعراء، نذكر منها:

أ. الجنس المصحف:

ويتمثل في الإتيان بكلمتين متشابهتين خطأ لا لفظا، ويقال له أيضا تجنيس الخط (زروق، 2013م، صفحة 124)، إذ ورد هذا النوع بالتحديد في كلمتي يسقين ويشفين، من قوله تعالى في سورة الشعراء: ﴿والذي هو يطعمني ويسقين (79) وإذا مرضت فهو يشفين (80)﴾ الشعراء / 79 - 80.

ب. الجنس الشبيه بالمشتق:

يعرفه بن زروق، قائلا (زروق، 2013م، صفحة 126): "وهو أن يجمع بين اللفظين شبه الاشتقاق، وذلك بأن يوجد في كلّ من اللفظين جميع ما في الأخرى من الحروف، أو أكثرها، لكن لا يرجعان إلى أصل واحد في الاشتقاق"، ومن أمثله في السورة:

قوله تعالى في الآية 168 ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِينَ﴾ فالكلمتان المتجانستان في هذا النصّ هما "قَالَ" و "القالين"، اللذان ينتميان إلى أصلين مختلفين، فالأولى (قال) مشتقة من القول، أما الثانية (القالين) اشتقت من القلى، وأيضا في قوله عزّ وجلّ: ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمُجْنُونٌ﴾ الشعراء / 27، فكلمتي (رسول وأرسل) كلمتان متقاربتان في حروفهما وترتيبهما، غير أنّ صيغتهما الصرفية تختلف، فالأولى مشتق من صيغة ثلاثية على وزن فَعَلَ، والثاني مشتق من صيغة رباعية على وزن أفعَلَ.

خاتمة:

وخلاصة هذه الدراسة وما تقدّم ذكره من تحليل مختلف التناسبات الصوتية في سورة الشعراء، مجموعة في جملة النقاط الآتية:

- الخطاب القرآني خطاب رفيع في شكله ومضمونه، فمن غير الممكن مقارنته بكلام البشر شعرا أو نثرا.

- يُضفي الإيقاع القرآني على شكل الآيات والسُّور مسحةً من الجمال والمتعة، تتناسب مع المعاني الربّانية المعجزة، وهذا ما شهدته آيات سورة الشعراء من إيقاعٍ نغميٍّ موسيقيٍّ، التحمت فيه مختلف الظواهر الصوتية من أصوات وفواصل ومقاطع تناسبت مع المعاني الباطنية التي أشادت بها كتب المفسرين حول السياق الخاص بإطار السورة.
- تكشف السمات التمييزية للأصوات؛ كالجره والهمس في سورة الشعراء وجهاً آخر تتجسّد فيه المعاني وتتشكّل في قالب تعجزيٍّ، يحيل إلى توافق الإيقاع مع خصائص الصوت وما يفيد من دلالة تنسجم مع معانيها.
- تعدّ الفاصلة القرآنية من أوجه الإعجاز القرآني، ومن ظواهره الصوتية النغمية التي تبرز جمال إيقاعه الموسيقي في نهاية آياته، مؤثرة في وجدان من سمعها أو قرأها.
- يتجسّد الانسجام الصوتي في السُّورة انطلاقاً من إيقاعها، الذي يتجلّى فيه براعة اتساق الفواصل والمقاطع الصوتية والتجنيس؛ بصورة فنية تلاءم مقامها وسياقها.
- إنّ اتفاق أصوات المد (الواو والياء) مع فواصل سورة الشعراء في استمرارية الصوت وخروج الهواء، ما يبرره من توظيف القصص فيها لغاية أرادها الله تعالى في استمرارية رسوله الكريم محمد صلى الله عليه وسلم في الدعوة إلى دين الحق وربط فؤاده بأخذ العبرة والعظة من قصص الأنبياء والرسل، كما تمنح حروف المد في اقترانها بأواخر فواصل القرآن الكريم تناغماً ووضوحاً وقوة في السمع، يجعلها متمكنة ومستقرة في مواضعها.
- إنّ التناسب الذي يحدث متناوباً في فواصل سورة الشعراء بين حرفي النون والميم، له أثر ودلالةٌ تنسجم مع خصائص كلا الصوتين.

ومن التوصيات التي تشجع بها هذه الدراسة الباحثين:

- الخوض في الدراسات اللغوية للقرآن الكريم، التي غالباً ما ينفر منها الكثير، فهي تكشف وجهاً إمعازياً من أوجهه من خلال التعرف على البنية اللغوية من أصوات وصرف ونحو ودلالة لسور القرآن العظيم، كما تفيد المبتدئين خاصة أثناء دراسة الأصوات وتحليلها من حيث المخارج وصفات الأصوات ونظام المقاطع والفواصل على التمكن من فهم وتطبيق أحكامه تطبيقاً صحيحاً يسهل عليك ترتيله.
- بيان أنّ علوم القرآن متعددة ومواكبة لكل عصر وزمان، وهذا فيه إقرار بصلاحيّتها الزمانية والمكانية.

المصادر والمراجع:

- القرآن العظيم برواية حفص

- إبراهيم أنيس. (1975). الأصوات اللغوية (الإصدار 5). مصر: مكتبة الأنجلو المصرية.
- إبراهيم محمد الجرمي. (2001م). معجم علوم القرآن - علوم القرآن، التفسير، التجويد، القراءات (الإصدار 1). دمشق: دار القلم.
- أبو الفتح عثمان بن جني. (1985م). سر صناعة الإعراب (الإصدار 1، المجلد 1). دمشق: دار القلم.
- أحمد أبو زيد. (1992م). التناسب البياني في القرآن، دراسة في النظم المعنوي والصوتي. الرباط: كلية الآداب والعلوم الإنسانية.

- أحمد البايي. (بلا تاريخ). في التكامل بين الدراسات البلاغية والدراسات الصوتية - إيقاع التوازن اللفظي والجناس وملحقاته وبنية الخطاب القرآني. سلسلة الترجمة والمعرفة (8).
- برهان الدين بن عمر البقاعي. (1415هـ - 1995م). نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (المجلد 1). بيروت - لبنان: دار الكتب العلمية.
- جلال الدين السيوطي. (2015م). الإتيان في علوم القرآن. بيروت - لبنان: دار ابن حزم.
- جمال الدين بن منظور. (1997م). لسان العرب (الإصدار 1، المجلد 6). بيروت - لبنان: دار صادر.
- سنابل هيثم يوسف عبد العال. (2020م). البنية اللغوية في سورة الشعراء دراسة لسانية تطبيقية. غزة: الجامعة الإسلامية.
- سيد قطب. (1423هـ - 2003م). في ظلال القرآن (الإصدار 1، المجلد 5). القاهرة: دار الشروق.
- صفاء شريف كليب الشريده. (بلا تاريخ). أثر المكونات الصوتية في التكامل الإيقاعي في النص القرآني. سلسلة الترجمة والمعرفة (8).
- عبد الرحمان ابن خلدون. (1984). تاريخ ابن خلدون. بيروت: دار القلم.
- عبد اللطيف شريفي، و زبير دراقي. (2004م). الإحاطة في علوم البلاغة. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
- عبد الله الزركشي. (1430هـ - 2009م). البرهان في علوم القرآن (الإصدار 2، المجلد 1). الرياض: دار الحضارة.
- فضيلة عظيمي. (2017م). التناسب السياقي في القرآن الكريم (الإصدار 1). عمان: مركز الكتاب الأكاديمي.
- محمد علي الصابوني. (1402هـ - 1981م). صفوة التفاسير (المجلد 2). بيروت: دار القرآن العظيم.
- مصطفى صادق الرافعي. (1965م). إعجاز القرآن والبلاغة النبوية (الإصدار 8). القاهرة: مطبعة الاستقامة.
- مناع القطان. (2002م). مباحث في علوم القرآن (الإصدار 1). القاهرة: مكتبة وهبة.
- نصر الدين بن زروق. (2013م). الخصائص الأسلوبية للتكرار في القرآن الكريم. الجزائر: دار هوميه.

References

- al-Qur'an al-Karīm bi-riwāyat Ḥafṣ

- Ibrāhīm Anīs. (1975m). al-aṣwāt al-lughawīyah (al-iṣdār 5). Miṣr : Maktabat al-Anjlū al-Miṣrīyah.
- Ibrāhīm Muḥammad al-Jarmī. (2001M). Mu'jam 'ulūm al-Qur'an-'ulūm al-Qur'an, al-tafsīr, al-tajwīd, al-qirā'āt (al-iṣdār 1). Dimashq : Dār al-Qalam.
- Abū al-Faṭḥ 'Uthmān ibn Jinnī. (1985m). Sirr ṣinā'at al-i'rāb (al-iṣdār 1, al-mujallad 1). Dimashq : Dār al-Qalam.
- Aḥmad Abū Zayd. (1992m). al-tanāsib al-bayānī fī al-Qur'an, dirāsah fī al-nuẓum al-Ma'nawī wālṣwty. al-Rabāṭ : Kulliyat al-Ādāb wa-al-'Ulūm al-Insānīyah.
- Aḥmad albāyy. (bi-lā Tārīkh). fī al-Takāmūl bayna al-Dirāsāt al-balāghīyah wa-al-Dirāsāt alṣwtyt-Īqā' al-tawāzun al-lafẓī aw al-jinās wa-mulḥaqātih wbnynh al-khiṭāb al-Qur'ānī. Silsilat al-tarjamah wa-al-ma'rifah (8).
- Burhān al-Dīn ibn 'Umar al-Biqā'ī. (1415h-1995m). naẓm al-Durar fī tanāsib al-āyāt wa-al-suwar (al-mujallad 1). byrwt-Lubnān : Dār al-Kutub al-'Ilmīyah.
- Jalāl al-Dīn al-Suyūṭī. (2015m). al-Itqān fī 'ulūm al-Qur'an. byrwt-Lubnān : Dār Ibn Ḥazm.
- Jamāl al-Dīn ibn manzūr. (1997m). Lisān al-'Arab (al-iṣdār 1, al-mujallad 6). byrwt-Lubnān : Dār Ṣādir.
- Sanābil Haytham Yūsuf 'Abd al-'Āl. (2020m). al-binyah al-lughawīyah fī Sūrat al-shu'arā' dirāsah lisānīyah taṭbīqīyah. Ghazzah : al-Jāmi'ah al-Islāmīyah.



- Sayyid Quṭb. (1423h-2003m). fī zilāl al-Qurʾān (al-iṣḍār 1, al-mujallad 5). al-Qāhirah : Dār al-Shurūq.
- Ṣafāʾ Sharīf Kulayb alshrydh. (bi-lā Tārīkh). Athar al-mukawwināt al-ṣawṭīyah fī al-Takāmul alʾyqāʾy fī al-naṣṣ al-Qurʾānī. Silsilat al-tarjamah wa-al-maʾrifah (8).
- ʿAbd al-Raḥmān Ibn Khaldūn. (1984). Tārīkh Ibn Khaldūn. Bayrūt : Dār al-Qalam.
- ʿAbd al-Laṭīf Sharīfī, wa Zubayr Dirāqī. (2004m). al-iḥāṭah fī ʿulūm al-balāghah. al-Jazāʾir : Dīwān al-Maṭbūʿāt al-Jāmiʿīyah.
- ʿAbd Allāh al-Zarkashī. (1430h-2009M). al-burhān fī ʿulūm al-Qurʾān (al-iṣḍār 2, al-mujallad 1). al-Riyāḍ : Dār al-Ḥaḍārah.
- Faḍīlat ʿAẓīmī. (2017m). al-tanāsub al-Siyāqī fī al-qurʾān al-Karīm (al-iṣḍār 1). ʿAmmān : Markaz al-Kitāb al-Akādīmī.
- Muḥammad ʿAlī al-Ṣābūnī. (1402h-1981M). Ṣafwat al-tafāsīr (al-mujallad 2). Bayrūt : Dār al-Qurʾān al-ʿAẓīm.
- Muṣṭafā Ṣādiq al-Rāfiʿī. (1965m). Iʿjāz al-Qurʾān wa-al-balāghah al-Nabawīyah (al-iṣḍār 8). al-Qāhirah : Maṭbaʿat al-Istiḳāmah.
- Mannāʿ al-Qaṭṭān. (2002M). Mabāḥith fī ʿulūm al-Qurʾān (al-iṣḍār 1). al-Qāhirah : Maktabat Wahbah.
- Naṣr al-Dīn ibn Zarrūq. (2013m). al-Khaṣāʾiṣ al-uslūbiyah lil-takrār fī al-Qurʾān al-Karīm. al-Jazāʾir : Dār Hūmah.